ظاهرة القراءات القرآنية

أ. منير بوزيدي

جامعة مولاي الطاهر

سعيدة الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018/02/17	تاريخ القبول: 2018/10/21	تاريخ النشر:2018/09/15

ملخص:

أسعى من خلال هذا المقال إلى لفت أنظار الباحثين والدارسين إلى فن و علم هو من الأهمية بمكان، محاولا بذلك إقامة رابط متين بين الدراسات اللغوية، والأدبية مع الدراسات الشرعية، فإنّ منشأ العلوم عند العرب والمسلمين كان ولايزال كتاب الله العظيم، الذي منه قراءاته المعجزة مع أن الكتاب واحد، فما هي القراءات القرآنية؟ وكيف تثبت القراءات؟ وماهوعددها، وهي فوائد تعددها؟.

Je tacherai dans cet article d'appeler l'attention des chercheurs enseignants et étudiants sur un art et une science d'une importance capitale, en essayant d'établir un lien solide entre les études langagières, littéraires et études de la chari'a (loi islamique).

Car la genèse des sciences chez les Arabes et les musulmans provient du Livre sacré d'Allah(Le Coran), qui est la source de l'inimitabilité (Al IAADJAZ) des lectures, quoique le Livre soit un.

Qu'est-ce que donc que les lectures coraniques ? Et comment sont-elles confirmées ?

Quel est leur nombre ? Et quel est l'intérêt de cette diversité de lectures ?

مقدّمة:

لا يخفى على ذي لب ما للقراءات القرآنية من دورٍ ليس بالهين ، إذ أنّها ذات بعدين أساسين ، الأول يتمثل في إثبات ما به يتعبد العبد ربّه ، والثاني إثبات القواعد اللغوية التي بها قِوام اللسان والبنان (اللغة و الأدب –قراءة و كتابة–)، وفهم الكلام العربي فهما صحيحا، و كتابته كتابة صحيحة، فكفى بهذا الأخير سببا لاختياري هذا الموضوع – ظاهرة القراءات القرآنية – فهو موضوع كبير لا يحتاج إلى مقال واحد أو مقالين بل مقالات بل مجلدات ، ولست أدعى الفضل فيه لأنّ الفضل يعود إلى العلماء الذين صنفوا في القراءات ، ولكنها مراجعة للتراث وإعادة قراءته ، فالقراءة و إعادة القراءة في المصنفات لأيّ فنٍ من الفنون كان تأتي دائما بجواب لسؤال أو حلٍ لإشكال يقع للباحث، أو القارئ إذ الحياة كلها موروث، أو الإتيان بأفكار جديدة يمكن تنميتها واستثمارها في مجالات أخرى لأنّ العلوم ذات أوشاج فيما بينها، وللوقوف على فوائد هذا الفن الجليل قسمت المقال إلى أربعة أقسام لتحصيل الفائدة دون تطويل ممل أو تقصير مخل ، فالأول تعريف القراءات القرآنية ، ثمّ الثاني قواعد تأصيلها ثمّ الثالث عددها الذي وقع الخلاف فيه بين العلماء ، وهو الباعث الأساس على كتابة المقال ثم الرابع فوائد تعدد القراءات.

أولا : القراءات القرآنية :القراءات: لغة جمع قراءة ، قرأ الكتاب قراءة وقرآنا تتبع كلماته نظرا ونطق بها، وتتبع كلماته ولم

ينطق بها وسميت حديثا بالقراءة الصامتة والآية من القرآن الكريم نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ.[1]

واصطلاحا :يقول ابن الجزري : القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة ، خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك.[2]

وأمّا القرآن :قال الجرجاني : القرآن هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة. [3] وقال الراغب : وقد خصّ بالكتاب المنزل على مُحَمَّد ﷺ فصار كالعلم كما أنّ التوراة لمِا أنزل على موسى والإنجيل على عيسى عليهما الصلاة والسلام .[4] ، وقال نظام الدين :القرآن نزل شيئا بعد شيء فلما جمع سمي قرآنا .[5]

فالقراءات القرآنية أو ما يسمى بعلم القراءات هو علم يتمكن به القارئ من أداء كلمات القرآن أداء صحيحا قراءة وصوتا ، وأمّا القرآن فهو كلام الله تبارك وتعالى المنزل على مُحَمَّد – صلى اللع عليه وسلم– مُبتدأ بالفاتحة مختتم بالناس ، فالفرق إذًا بين القرآن والقراءات هو أنّ القرآن كلام الله وأمّا القراءات فهي الأداء الفعلي للقرآن الكريم ، كما يعتمد اللغوي والنحوي وغيرهما على هذا العلم في إثبات مادته تأصيلا وترجيحا بالإضافة إلى عزو القراءات لأصحابها فهو حجة لإثبات صحة القراءة ، ولفظة القراءات توحي بأنّ القرآن له العديد من الطرق ما يتطلب من الباحث ضبط ذلك ، فهو من

المهمات له كي لا يخلط بين القراءات ومنه الخلط بين العلوم التي تعتمد عليه ، وتتفرع منه .

فالقراءات القرآنية هي آلية من الآليات التي لابد للغوي أو النحوي أو الأديب أو المفسر ، أو الفقيه أو المحدث أو أيٍّ كان أنّ يكتسبها وينهل من معينها .

ولما كانت القراءات القرآنية بهذه المكانة تصدّى علماؤنا الجهابذة منذ بداية الوحي إلى كتابة القرآن

ثمّ جمعه في أدوات الكتابة التي توفرت في ذلك الوقت التي تُمَكِن من حفظه وتثبيته ، كالجلود والرقاع واللحاف وغيرها ، ثم حصل ما حصل من موت القراء كما في حادثة اليمامة ، فخاف الصحابة –رضوان الله عليهم – على ذهاب القرآن ما أدى بهم إلى جمع ما كتب من القرآن في زمن الخليفة الأول أبي بكر الصديق – ﷺ – ثمّ مع طبيعة البشر القائمة على الاختلاف جاء دور الخليفة الثالث عثمان بن عفان – ﷺ – فجمع القرآن في مصحف واحد وحرّق باقي الصحائف المجموعة على مرئى من الصحابة ، والذي يعد إجماعا سكوتيا منهم وذلك حفاظا منهم على وحدة الأمة التي هي أصل من أصول هذا الدين الذي لابد من مراعاته لتوحيد الأمة ، ليظهر بعد ذلك ما يسمى بالقراءات إذ أنّ القرآن أنزله الله على سبعة أحرف كما ثبت بذلك الخبر عن رسول الله –ﷺ– تيسيرا على هذه الأمة ، وهذا الأخير تمخض عنه اختلاف النّاس في إثبات

القراءة ما أدى بعلمائنا لوضع قوانيين يتسنى من خلالها إثبات القراءة ، وهذا ما سنراه في القسم الثاني.

ثانيا قواعد إثبات القراءات القرآنية :

أركان القراءة :نظمها ابن الجَزَرِي بقوله :

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وَكَانَ للرَّسْمِ احْتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إسْناداً هُوَ الْقُرآنُ ... فَهَذِهِ الثَّلاثَةُ الأَرْكَانُ
وحَيثُماَ يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبعَة[6]

وعليه فالقراءة القرآنية المقبولة ما توفر فيها ثلاثة أركان :

أولا :أن تكون موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية والمقصود به قواعد اللغة كالصرف والنحو ، **ثانيا** : أن توافق رسم المصحف العثماني الذي يسمى بمصحف الإمام ، **ثالثا** : أن يصح إسناد القراءة يعني يتصل إسنادها من الراوي إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن خلّ ركن من هذه الأركان فالحكم على القراءة بالشذوذ.

أقسام القراءات : قسّمها السيوطي في الإتقان إلى ستة أنواع كالتالي:

الأول المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك.

والثاني المشهور وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عن القراء فلم يعده من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ به على ما ذكر ابن الجزري ويفهمه كلام أبي شامة السابق ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض وأمثلة ذلك كثيرة في فرش الحروف من كتب القراءات كالذي قبله ومن أشهر ما صنف في ذلك التيسير للداني وقصيدة الشاطبي وأوعية النشر في القراءات العشر وتقريب النشر كلاهما لابن الجزري .

والثالث الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور ولا يقرأ به وقد عقد الترمذي في جامعه والحاكم في مستدركه لذلك بابا أخرجا فيه شيئا كثيرا صحيح الإسناد من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي قرأ متكئين على رفارف خضر وعبا قري حسان وأخرج من حديث أبي هريرة أنه قرأ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرات أعين وأخرج عن ابن عباس أنه قرأ لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وأخرج عن عائشة أنه قرأ فروح وريحان يعني بضم الراء .

و**الرابع الشاذ** وهو ما لم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة مَلَكَ يوم الدين بصيغة الماضي ونصب يوم وإياك يعبد ببنائه للمفعول.

الخامس الموضوع كقراءات الخزاعي.

السادس : قال : وظهر لي سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم ،أخرجها سعيد بن منصور .[7]

الذي يبدو لي في تقسيم السيوطي لهذه الأنواع إلى هذا التقسيم هو تأثره بعلم الحديث ، لأن هذا التقسيم بهذه الطريقة معروف عند علماء الحديث والسيوطي واحد منهم ، وقد جرى على طريقة المحدثين في جميع تآليفه .

وعليه فلما كان للقراءة قواعد تثبتها فكان ما وافق هذه القواعد اصطلح عليه بالمتواتر و المشهور –على اصطلاح السيوطي في تقسيمه – وهو الغاية المطلوبة ، وكان ما خالف هذه القواعد سُمي بالشاذ عموما جريا على اصطلاح علماء التجويد أو الأصوليين والفقهاء أو على مراتب كما قال السيوطي :الآحاد ، و الشاذ ، والموضوع ، والمدرج.

ومن المهمات أيضا موضوع عدد القراءات فقد اختلفوا في عددها فهل هي سبعة أم عشرة أم أربعة عشر؟ ، وهذا ما أجيب عنه في القسم الثالث .

ثالثا : عدد القراءات منسوبة إلى أصحابها :

عدد القراءات المعتبرة : قال محقق كتاب الحجة : إنّ إضافة القراءة إلى أئمة القراءة و رواتهم لا تعني أكثر من أنّهم اختاروها و داموا عليها و لزموها حتَّى اشتهروا بها و قصدوا فيها ، وهي كما يعبر

ابن الجزري إضافة اختيار و دوام و لزوم ، لا إضافة اختراع و رأي و اجتهاد .[8]

ولما كانت القراءة للقراء قائمة على الاختيار والمداومة حصل الاختلاف في قبولها ، يقول الشنقيطي : قراءة القرّاء السبعة مجمع على تواترها وهم : ابن عامر ، ونافع ،وعاصم ، وابن كثير ، و أبو عمرو وحمزة ، والكسائي ،فالقراءات عند القرّاء و بعض الفقهاء ثلاثة أقسام : متواتر وهو السبع ومختلف فيه بين التواتر والصحة كالثلاث ، وشاذ وهو ما اختل فيه شرط الصحة ، وعند الأصوليين وبعض الفقهاء : متواتر وهو السبع وشاذ وهو ما سوى ذلك ، فلا تجوز عندهم القراءة بما زاد على السبع والتحقيق جوازها .[9]

قال ومثال المستوفي للشروط (موافقة اللغة و الرسم و صحة الإسناد) قراءة الثلاثة : خلف ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، أمّا أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، وهو من شيوخ نافع ومن كبار قراء المدينة وأمّا يعقوب فقال ابن عرفة : قراءة داخلة في السبعة لأنّه أخذها عن أبي عمرو ، وأمّا خلف فقال فيه السبكي : قراءة خلفة ملفقة من السبعة إذ له في كل حرف موافق منهم ، وقال أبوحيان : لا نعلم أحدا من المسلمين منع القراءة بالثلاثة ، بل قُرِيء بها في سائر الأمصار .[10]

و جاء في معجم القراءات : (و الحاصل أنّ السبع متواترة اتفاقا ، وكذا الثلاثة : أبو جعفر ويعقوب وخلف على الأصح بل الصحيح المختار)[11].

وعليه فالقراءات سبع متواترة اتفاقا والثلاثة صحيحة وأمّا الأربعة البواقي فقد جاء –أيضا– في معجم القراءات ما يأتي : (ففي ضوء دراستنا السابقة للقراءات القرآنية تبين لنا أنّ القراءات ليست مقصورة على هذه القراءات السبعية أو العشرية التي اتفق العلماء على تواترها ، بل إنّ هناك قراءات أخرى عديدة قوية السند ، صحيحة الرواية ومع ذلك وصفوها بالشذوذ لخروجها عن هذه القراءات العشر.[12]

والذي أستخلصه أنّ العبرة في القراءة توفرها على الشروط المذكورة (موافقة وجه من أوجه اللغة ، موافقة الرسم العثماني ، صحة الإسناد) فإن توفرت صَحَّتْ القراءة وإلا فلا ، ومادامت هذه القراءات الأربعة البواقي فيها هذه الشروط فالقراءات إذًا أربعة عشر قراءة وهي كالآتي : قال شهاب الدين الدمياطي: فأما القراء ورواتهم فهم نافع من روايتي قالون وورش عنه وابن كثير من روايتي البزي وقنبل عن أصحابهما عنه وأبو عمرو من روايتي الدوري والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه وابن عامر من روايتي هشام وابن ذكوان عن أصحابهما عنه وعاصم من روايتي أبي بكر شعبة بن عياش وحفص بن سليمان عنه وحمزة من روايتي خلف وخلاد عن سليم عنه وعلي بن حمزة الكسائي من روايتي أبي الحارث والدوري عنه وأبو جعفر يزيد بن القعقاع من روايتي عيسى بن وردان وسليمان بن جماز عنه ويعقوب بن إسحاق الحضرمي من روايتي رويس وروح عنه وخلف بن هشام البزار من روايتي إسحاق الوراق وإدريس الحداد عنه وابن محيصن مُحَمَّد بن عبد الرحمن المكي من روايتي البزي السابق وأبي

الحسن بن شنبوذ واليزيدي يحيى ابن المبارك من روايتي سليمان بن الحكم وأحمد بن فرح بالحاء المهملة والحسن البصري من روايتي شجاع بن أبي نصر البلخي والدوري السابق ذكره والأعمش سليمان بن مهران من روايتي الحسن بن سعيد المطوعي وأبي الفرج بالجيم الشنبوذي الشطوي.[13]

فحاصل هذا الكلام أنّ لكل قاريء راويان فيكون العدد الاجمالي : أربع عشرة قراءة وثمانية وعشرون رواية .

رابعا فوائد تعدد القراءات القرآنية : مِن أهم فوائد تعدد القراءات ما يأتي :

1 – التخفيف على الأمة الإسلامية من باب التيسير ورفع الحرج.

لذلك يقول ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: فكان من تيسير الله أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرى عليه عادتهم .. ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتباره طفلا وناشئا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل اللسان وقطع للعادة فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين .[14]

2 – رغم تعدد القراءات القرآنية فإنه لا يوجد بينها تضاد ولا تناقض رغم ما به من آيات محكمات وأخر متشابهات مما يدل على إعجازه.

3 – هذه القراءات القرآنية يفسر بعضها بعضا كقوله تعالى: **وَكانَ وَراءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً** فسرتها قراءة: «يأخذ كل سفينة صالحة غصبا».

4 – هذه القراءات ترجح حكما على حكم آخر كما سوف يتبين في الدراسة وكما في قوله تعالى: **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ. ففي قراءة أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** [المائدة: 89].

5 – تأكيد جانب عقائدي كما في رؤية الله يوم القيامة في قوله تعالى: **وَإِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**. فهناك قراءة بكسر اللام وفتح الميم وهى من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى يوم القيامة. [الإنسان: 20]

6 – الاحتجاج بتنويع القراءات فى تقرير القواعد اللغوية والنحوية. ..ملخص من كتاب الوقف القرآني .[15]

وختاما فإن علم القراءات القرآنية هو من العلوم التي تحتاج إلى بحث، وتنقيب، ونظر ثاقب مع نَفَسٍ طويل ، وإعادة قراءة لما كتب في هذا العلم الجليل للوقوف على إثبات صحة القراءة القرآنية ومنه إثبات ما به يُتقرب إلى الله عزّ وجلّ بتلاوته ، وما به نبني علوم اللغة العربية والفنون الأدبية إذ القرآن الكريم كان أساس نشوء النحو العربي بالإضافة إلى أنّه أصل من أصوله ومنبع من منابعه، كما ينبغي أيضا تخريج القراءات القرآنية الموجودة في كتب التفاسير واللغة، والأدب وغيرها من الكتب، وتبيين درجتها وتصنيفها.

المصادر والمراجع :

-إبراهيم أنيس /أحمد الزيات/حامد عبد القادر/مُحَمَّد النجار،المعجم الوسيط ، تحقيق: مجمع اللغة ، دار الدعوة ،القاهرة ، (د،ط) ،722/2.

2-ابن الجزري (ت833هـ) ، منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ،1420هـ-1999م ، ص 09.

3-الشريف الجرجاني (ت716هـ) ، التعريفات ، تحقيق : مُحَمَّد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ،(د ، ط) ، ص 146.

4-الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن ، تحقيق : مكتب الدراسات نزار ، دار الباز ، مكة ، (د ، ط) ، 146/1.

5-نظام الدين النيسابوري ، غرائب القرآن ، ضبطه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ، ط1، 1419هـ-1997م ، 29/1.

6-ابن الجَزَرِي (ت833هـ) ، طيبة النشر في القراءات العشر ،تحقيق : مُحَمَّد تميم الزغبي ، دار الهدى ، جدة ، ط1 ، 1414هـ-1994م، ص 35.

7-السيوطي (ت911هـ)، الإتقان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، بيروت –لبنان ، ط1 ،1424هـ-2013م، ص335.

8-أبو علي الفارسي (ت 377هـ) ، الحجة ، تحقيق : الشيخ عبد الموجود ،وعلي معوّض ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2007م ، 12/1.

9-مُحَمَّد الأمين الشنقيطي ، شرح مراقي السعود ، تحقيق : علي بن مُحَمَّد العمران ، إشراف : بكر أبو زيد ، دار عالم الكتب ، مكة المكرمة ، ط3 1433هـ، 73/1.

10-المصدر نفسه 74/1.

11-أحمد مختار وعبد العال ، معجم القراءات القرآنية ، 95/1.

12-المصدر نفسه ، 115/1.

13-شهاب الدين الدمياطي ، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، دار الكتب العلمية – لبنان ،ط2- 1419هـ1998م،ص10.

14 ابن قتيبة الدِّيْنَورِي (ت276هـ) ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : سعد بن نجدت عمر ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، سوريا ط1، 1435هـ-2014م، ص 64و65.

15--عزت شحاتة ، الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ-2003م ، ص13و14.